

الشرق الأوسط الكبير: تطور الرؤية الأمريكية

د. محمد علي الروسان *

د. طارق تركي العماري *

تاريخ القبول: ٢٠١٠/٦/١٧

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٩/١٢/٣٠

ملخص

تقصد هذه الدراسة إلى تتبع مصطلح "الشرق الأوسط" من حيث ظهوره ودوافع ذلك الظهور وما لحقه من تطورات.

وخلصت الدراسة إلى أن المصطلح أوروبي النشأة، إذ هو ارتكز إلى علاقة الآخر بالمركز (أوروبا) أو هو يمثل علاقة المستعمر البريطاني والفرنسي بالمستعمر.

وكان المصطلح شرع في التغيير مع انحسار الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية وحلول القطبين الروسي والأمريكي مكانهما، ثم، هو أخذ بالتشكل من جديد مع انهيار القطب الروسي وتفرد أمريكا بالعالم. مما فرضت رؤية أمريكية عرفت الشرق الأوسط وفق مصالحهما النفطية والإستراتيجية بما في ذلك علاقتهما مع الشريك الإسرائيلي.

وعليه، جاءت الرؤية الأمريكية بأبعاد سياسية وثقافية تركز على ما هو عربي وإسلامي مضيضة له تعبير "الكبير". ومن ثم، ترى الدراسة بأن المصطلح كان ديناميكياً وسيبقى كذلك متحولاً، وفق رؤية الغرب لنا. ووفق قدراتنا على مواجهة التحولات الكبرى في العالم.

Abstract

The Great Middle East : Development of the American vision

This study aims at examining the term "The Great Middle East" In regard to its rise and consequent development.

The study stated that the term is basically European because it is based on the relationship of the center (Europe), with other dominated countries.

The term was created when the British and French empires gave the lead to the Russian and American poles in their place. When America has become the only power in the world. An American vision has been imposed which identified the middle east according to its interests, as well as its relationship with the Israel partner.

Therefore, the American vision, emphasized the Arab and Islamic aspects by adding the word "Great".

The study considered the term as something dynamic and will remain so according to the view of the west and according to our abilities to encounter the great changes in the world.

* كلية اربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

ارتبط مصطلح "الشرق الأوسط" في بدايات ظهوره بالمناطق الجيوسياسية الواقعة خارج جغرافيا الدول المهيمنة عالميا لتحقيق أهدافها الحيوية المتعددة الأبعاد، وفي ضوء المرحلة التاريخية وطبيعة القوى الدولية الراهنة.

فالمصطلح كان نتاج الاكتشافات الأوروبية وانتشارها وتمددتها باتجاه الأقاليم الجغرافية التي جرى تقسيمها على ثلاثة أقسام كبرى؛ الشرق الأدنى والشرق الأقصى والشرق الأوسط، بحيث شكلت أوروبا مركز العالم باعتباره محور هذه التقسيمات.

وقد تم تعريف الشرق الأوسط بداية في ضوء ما أطلق عليه الأوروبيين "المسألة الشرقية" الذي يشير إلى الدولة العثمانية والمناطق التي جرى اقتسامها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية من قبل الدولتين البريطانية والفرنسية؛ القوى الدولية الصاعدة حينذاك.

وما أن خرجت الولايات المتحدة من عزلتها الجغرافية باتجاه مناطق العالم خارج جغرافيتها السياسية، عملت على إقامة تحالفات سياسية وعسكرية منذ خمسينات القرن الماضي، كحلف بغداد الذي ضم بعض دول المنطقة التي تشكلت حديثا بعد تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية.

من هنا تبدأ الولايات المتحدة في تشكيل رؤيتها واستراتيجيتها لمنطقة الشرق الأوسط، وبصورة تبدو كإعادة لذات الرؤية البريطانية، لكنها تتسع هذه المرة لتشمل مناطق جغرافية جديدة، وعلى أساس تحقيق مصالحها في السيطرة على مناطق النفط باعتباره مادة الطاقة التي من خلالها يمكن السيطرة على العالم وضمان حيازة تدفقاته النفطية التي تساهم مباشرة في رفد قوتها الاقتصادية والعسكرية.

لكن تبلور المصطلح يتخذ وقعه العملي الأكثر تأثيرا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبداية تشكل نظام عالمي جديد أحادي القطب تقوده وتهيمن عليه الولايات المتحدة، وينبثق من رؤية ثقافية تعتمد الانقسامية الإثنية التي تبرر الوجود الإسرائيلي عبر تبني عملية السلام لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي.

ثم تأتي ظروف موضوعية إقليمية ترشح الولايات المتحدة لقيادة حرب "عالمية" تتحالف بها القوى الدولية في المنطقة وخارجها على إثر دخول العراق إلى الكويت وإخراجه منها عسكريا، ليجتبه التعريف الأمريكي للمصطلح بالترويج والتبشير لتغيير الأنظمة السياسية والتأكيد على أمن إسرائيل والسيطرة والتحكم بالأسلحة التقليدية والاستراتيجية في المنطقة.

وجاءت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ لتتبنى الولايات المتحدة منظور إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط والعمل على تغيير الأنظمة بالقوة العسكرية، وكانت الكتابات الأمريكية ومن بينها أطروحة هنتنغتون حول صراع الحضارات وأطروحة فوكوياما حول نهاية تاريخ العالم عند نموذج النظام الرأسمالي، رافدا ثقافيا لرسم صورة شرق أوسط يتسع أكثر لرؤية أميركية تمثلت بمشروع المحافظين الجدد المسمى "الشرق الأوسط الكبير".

فصناعة القرار الأمريكي لا تبتعد كثيرا عن مثل هذه التصورات الثقافية؛ وبالقدر نفسه لا تبتعد عن أهداف تحقيق المصالح الحيوية الأمريكية في المنطقة وبضمنها النفط واستقرار المنطقة وخلق نظم سياسية حليفة ومتعاونة، وهذه المرة أيضا تكون إسرائيل محورا ودليلا باعتبارها النموذج الديمقراطي الشرق أوسطي الوحيد.

وعليه طرحت الولايات المتحدة مشروعها الذي تضمن تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح في المنطقة، وبناء مجتمع معرفي، وتوسيع الفرص الاقتصادية، بغرض خلق الظروف التي تحول دون تهديد مصالح الغرب ومجموعة دول الثماني، والحيلولة دون تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية، ودون زيادة في التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة.

فكان أن طرح المشروع في اجتماع مجموعة الدول الصناعية الثماني المنعقد في الولايات المتحدة في حزيران ٢٠٠٤، وباشرت واشنطن نقاشا معها لضمها إلى الشراكة وتبلور موقف موحد تجاهه.

والمشروع كان يشير إلى "الشرق الأوسط الكبير" المكون من بلدان العالم العربي وباكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

بالنتيجة ظهر توافق واضح بين الأمريكان والأوروبيين حول ضرورة العمل على تحقيق مضامين المشروع، لكن ليس بالقوة العسكرية؛ أي من الخارج، بحسب الأوروبيين والجنح الديمقراطي الأمريكي، إذ فضل هؤلاء أن يكون التغيير من الداخل.

بينما الموقف العربي الرسمي؛ فقد كان متوافقا مع الأمريكي في حالة أن يقود النظام السياسي الرسمي هذه العملية دون فرضها عليه من الخارج، بينما واجه المشروع رفض على مستوى النخب المعارضة للأمريكان، وكذلك رفض إيراني على المستوى الرسمي، ذلك أن المشروع ينطوي على تفكيك المنطقة على أسس انقسامية وتفتيتية يعاد تركيبها أمريكيا.

الشرق الأوسط: المفهوم وتطور دلالاته

أطلقت القوى العالمية المهيمنة على المناطق الواقعة خارج إطارها الجغرافي مفاهيم ومصطلحات ارتبطت بأبعاد متعددة اشتملت على الجغرافيا والأهداف الاقتصادية والسياسة والعسكرية- الأمنية التي أملتھا المصالح الحيوية لتلك القوى في مرحلة تاريخية معينة أثرت ظروفها الموضوعية في تطور المفهوم من حيث الاتساع والدلالات.

فالمصطلحات الجغرافية ارتبطت بداية بالاكشافات الأوروبية الكبرى وطرق المواصلات الدولية بحيث جرى تقسيم العالم لتحقيق الأهداف المقصودة والمتوافقة مع تلك المصالح؛ وفي هذا الإطار أطلق الأوروبيون على الهند والصين الشرق الأقصى، بينما أطلقوا على البلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط بين أوروبا وتلك المنطقة مصطلح الشرق الأدنى^(١).

فاشتمل مصطلح الشرق الأدنى على منطقة جغرافية تقع غربي الأناضول والبحر الأسود؛ تتكون من غرب تركيا وبلغاريا ومولدافيا ومكدونيا ورومانيا والبوسنة والهرسك واليونان وألبانيا وبلغاريا وترانسلفانيا ولاجيا^(٢).

بينما اشتمل الشرق الأقصى على منطقة جغرافية تطل على المحيط الهندي والمحيط الهادي وتقع شرق آسيا في أقصى العالم، وتتكون من الهند ومنغوليا وشرق سيبيريا وجنوب شرق آسيا واليابان وأستراليا ونيوزيلندا^(٣).

(١) الدجاني، أحمد صفدي، ١٩٩٨، الجزور التاريخية للشرق الأوسطية، ندوة مخططات التعاون بين إسرائيل والدول العربية: من التطبيق إلى الهيمنة، رؤية عربية من ٢٢-٢٣ تشرين أول، ص ٢٤.

(2) Gaisford, John, 1978, Atlas of Man, Marshal Cavendish Edition, London, P. 16

(3) Thrne, T.C., 1965, Chamber, s World Gazetteer and Geographical Dictionary, London, P.491.

أما مصطلح الشرق الأوسط فقد اطلق على مجموعة أقاليم متنوعة تقع في جنوب غربي آسيا تتوسط العالم؛ إذ هي تتوسط الشرق الأدنى والشرق الأقصى، وتضم تركيا الأناضولية والعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين وشبه الجزيرة العربية وايران ومصر وباكستان.^(١)

على هذا النحو بنى الأوروبيون وشكلوا تصوراتهم باعتبار أن أوروبا هي مركز كوني يتم على أساسه اطلاق المصطلحات والمفاهيم الجغرافية- السياسية وبناء هذا التصور والفهم الجيوسياسي لهذا الكون المتمثل بأوروبا ومحيط مجالاتها الحيوية. ومن منطلق المركزية الأوروبية تتحدد مسميات مناطق العالم في الجغرافيا السياسية تبعاً لموقعها من هذا المركز؛ فهناك شرق أقصى وشرق أوسط وشرق أدنى^(٢).

وقد جرى استخدام وترويج تلك المصطلحات في الكتابات والتعبيرات الأوروبية والأمريكية لوصف مناطق جغرافية من العالم في ضوء مصالحهم الاستراتيجية ومدى الاهتمام بها من نواح عديدة وفي مراحل تاريخية معينة.

فاستخدم رجل الاستخبارات البريطاني الجنرال توماس أدوارد جوردن الذي شغل مديراً للبنك الإمبراطوري الفارسي، مصطلح "الشرق الأوسط" في مقالة كتبها عام ١٩٠٠ ينبه فيها الحكومة البريطانية إلى الخطر الروسي على المصالح البريطانية في الهند، وعلاقتها ببلاد فارس، إيران حالياً^(٣).

وكتب "فالنتاين شيروول" مراسل الشؤون الخارجية لجريدة التايمز اللندنية، مجموعة من المقالات من تشرين الأول ١٩٠٢ حتى نيسان ١٩٠٣ بعنوان "المسألة الشرق أوسطية". كما استخدم هذا المصطلح في كتاب "هاملتون" الصادر في لندن عام ١٩٠٩ بعنوان "مشاكل الشرق الأوسط"^(٤).

(1) Paton, John, 1981, Knowledge Encyclopedia, Grisewood and Dempsey Ltd, Leicester. P.235.

(٢) مكي، يوسف، ٢٠٠٦/٨/١٣، النظام الاقليمي العربي والشرق الأوسط الجديد، www.arabrenewal.org/articles/htmlhttp://

(٣) الجبر، محمد، ٢٠٠٦، البعد التاريخي للشرق الأوسط الكبير، المناضل: المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، العدد ٣٤٠، http://www.baath-party.org/monadel/no-340/almonadil340_9.htm

(٤) مطر، جميل وعلي الدين هلال، ١٩٨٣، النظام الاقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٢٦.

وأطلق الضابط الأمريكي البحري ألفريد ثاير ماهان عام ١٩٠٥ عبارة "الشرق الأوسط" على المنطقة الممتدة ما بين القارات الثلاث آسيا وأوروبا وإفريقيا وبين أن من يسيطر عليها يسيطر على العالم بسبب موقعها الإستراتيجي^(١).

جاءت هذه الاستخدامات تعبيراً عن توجهات وسياسات أملت لها ظروف الصراع الدولي في مراحل تاريخية معينة بين القوى العالمية بالقدر الذي توحى به عن توجهاتها لتعزيز وجودها في مواقع جغرافية استراتيجية مرتبطة بمصالح اقتصادية وسياسية وعسكرية. وكانت البداية مع "المسألة الشرقية The Eastern Question" لتقاسم ممتلكات "الرجل المريض" (الإمبراطورية العثمانية) في المنطقة من قبل القوى الأوروبية آنذاك^(٢).

وبعد أفول الدولة العثمانية اتخذ المصطلح دلالات وأهداف لمواجهة انبعاث الوعي القومي العربي من خلال ترجمتها بمشروعات أحلاف ومعاهدات واتفاقيات تحدد مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية مثل معاهدة سايكس-بيكو لعام^(٣).

بهذا يبدأ المصطلح اتخاذ دلالات أخرى بعد الحرب العالمية الأولى أملت لها المتغيرات الدولية بسقوط الدولة العثمانية وظهور وحدات جيو-سياسية جديدة في المنطقة. ففي آذار ١٩٢١ أنشأ ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني إدارة الشرق الأوسط لكي تشرف على شؤون فلسطين وشرق الأردن والعراق، وصارت المنطقة تكبر وتضخم بحسب تطورات الحروب العالمية الأولى والثانية. وصار مصطلح "الشرق الأوسط" مألوفاً تداوله لدى الدول الكبرى والدوائر العسكرية المهمة بهذا الشأن إذ تم تأسيس "قيادة الشرق الأوسط" في القيادة العسكرية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية^(٤).

بهذا انطوى المفهوم منذ بداية تشكله على أبعاد وتطورات جغرافية وسياسية وعسكرية انبثقت من المصالح الكبرى للدول الغربية المهيمنة؛ كانت قد بدأت بخسارة الإمبراطورية العثمانية

(١) Naduskav, Tomas, 1986, The Middle East Bronxville, Cambridge Book Co, P.1.

(٢) الهباس، خالد نايف، مفهوم الشرق الأوسط الجديد، صحيفة عكاظ، العدد ١٨٨٠، الخميس ١٠/٧/٢٠٠٦.

(٣) أحمد، محمد سيد، ١٩٩٧، "الشرق أوسطية: الأبعاد السياسية والثقافية"، تحرير: نادية مصطفى، مصر

ومشروعات النظام الإقليمي الجديد في المنطقة، أعمال المؤتمر السنوي العاشر للبحوث السياسية،

القاهرة: ٧-٩ ديسمبر ١٩٩٦، مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة، ص ٢٠٨.

(٤) حداد، معين ١٩٩٤، مفهوم الشرق أوسطية بين الجغرافيا والجيولوجيا، شؤون الأوسط، العدد ٣٣،

أيلول بيروت، ص ٤٣.

لأقاليمها، واستمرت في الفترة الاستعمارية اللاحقة لتاريخ الشرق الأوسط الذي لم يمثل انقطاعاً عن الماضي، وإنما استمراراً لسياسات المسألة الشرقية مع تركيز خاص على الهلال الخصيب الذي شكل قلب المجال الحيوي للشرق الأوسط^(١).

ولأن مفهوم الشرق الأوسط هو بطبيعته جيوسياسي، مرتبط باستراتيجيات الدول المهيمنة في المنطقة، فإن حدوده غير ثابتة، وخاضعة لاستراتيجية الدول العظمى في مرحلة تاريخية محددة. ولذلك فإن حدوده قابلة للانكماش والتمدد تبعاً لتلك الإستراتيجيات. وعليه فقد أضيفت إسرائيل لقائمة الحلفاء بعد تأسيسها على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ وقيام محور شرق أوسطي متحالف مع الغرب يضم دول المنطقة التي تنمى في سياساتها مع الغرب^(٢).

ظهر هذا التغير في معنى ودلالات المصطلح وفق الرؤية البريطانية عام ١٩٥١ خلال جلسة لمجلس العموم البريطاني. ففي سؤال وجهه أحد النواب البريطانيين عن البلاد التي تدخل ضمن اصطلاح الشرق الأدنى، أجاب وكيل وزارة الخارجية آنذاك قائلاً: "إن تعبير الشرق الأدنى الذي لازم السلطنة العثمانية يعتبر الآن في بريطانيا العظمى مما فات آوانه ويستعاض عنه الآن تعبير "الشرق الأوسط" الذي بات يشتمل على مصر والعراق وسوريا ولبنان والأردن وإسرائيل والعربية السعودية وإمارات الكويت والبحرين وقطر ومسقط ومحمية عدن واليمن"، أي ما يعرف بالوطن العربي مع اقتطاع المغرب العربي الكبير وإضافة إسرائيل بديلاً عن فلسطين^(٣).

بهذا فئمة ظروف دولية موضوعية دفعت نحو تبدل الأدوار بعد الحرب العالمية الثانية ليتخذ المفهوم تعريفات ودلالات تنسجم مع القوة الدولية الجديدة الصاعدة. ومن هنا كان للولايات المتحدة دورها في تحديد معنى المصطلح ودلالاته وتطوره حسب المرحلة التاريخية وطبيعة المواقع والمراكز التي باتت تحتلها القوى الدولية الراحنة.

دلالات وتطور المفهوم في الرؤية الأمريكية

الاهتمام الأمريكي بالمنطقة وبداية تشكل الرؤية الأمريكية في بعدها العملي بدأت في فترة الخمسينات حينما كونت الولايات المتحدة قوة عسكرية أطلقت عليها تسمية "قوة الشرق أوسطية" ثم

(1) Brown, Leon Carl, 1984, The International Politics and the Middle East: old Rules, Dangerous Game, Princeton University Press, Princeton.

(2) مكي، يوسف، ١٣/ ٨/ ٢٠٠٦، مصدر سابق.

(3) رياض، مجدي، ٢٠٠٧، تطور مفهوم الشرق الأوسط: من الاستعمار التقليدي إلى التعريف الأمريكي الجديد، الخميس ١٧ أيار ٢٠٠٧، موقع الوحدوي <http://www.alwahdawi.net/nprint.php?lng=arabic&sid=٢٧٣٠>

أتبعت ذلك "مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط" وجاء ذلك معبرا عن اتجاه العالمية في السياسية الخارجية الأمريكية حينما قررت الخروج من عزلتها الجغرافية^(١).

فاتجاه العالمية ميز السياسة الخارجية الأمريكية منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، وسارت الأحداث العالمية لتؤكد طبيعة الدور الأمريكي المهيمن على الشؤون الدولية وخاصة في الحقلين الاستراتيجيين؛ العسكري والأمني، وكنتيجة لذلك احتفظت الولايات المتحدة بسيطرتها المطلقة ورقابتها على منظومة الأسلحة الإستراتيجية في إطار حلف الناتو^(٢).

إن العودة للنظام الشرق أوسطي، خاصة في بعده الأمني، ليس فكرة جديدة، فقد عبرت عن هذا النظام صيغ سياسية وأمنية وعسكرية تمثلت في حلف بغداد والحلف المركزي وقبله ميثاق سعد آباد. وبذلك غدا النظام الشرق أوسطي وعناصره الأمنية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية، قراءة جديدة لذات المشروع القديم الذي عرف بالمسألة الشرقية في محاولات القوى الغربية على تعاقبها للتحكم وضبط المنطقة العربية^(٣).

وجاءت التقارير الاستراتيجية الأمريكية منذ السبعينيات وما قبلها لتتحدث عن خطط التحرك والبدائل المختلفة للسيطرة على منطقة الخليج لضمان إمدادات البترول، وقد تزايدت هذه الدراسات في إعدادها وحدة لغتها منذ قيام الثورة الإيرانية وإسقاط الشاه، وغطت حقبة الثمانينيات. فقد قدم بيتر دويجنان بالمشاركة مع آل اتش غان دراسة عن الشرق الأوسط لصانع القرار الأمريكي، أشارا فيها إلى أن المفهوم الواسع للشرق الأوسط يشمل كافة المناطق الممتدة من شاطئ المحيط الأطلسي وعبر شمال أفريقيا وصولا إلى حدود إيران الشرقية. مما يتيح هذا التعريف الغاء المفهوم الضيق للشرق الأوسط واشتماله على اختلافات جغرافية وأثنية لتكريس تجزئته، والحيلولة دون قيام إسلام موحد بين بلدان تدين فيه في المنطقة، وهذا العامل سوف يتم استخدامه في منظور "صراع الحضارات" و"نهاية التاريخ" من الزاوية الأيديولوجية الأمريكية وربطه بالإرهاب في المنظور الاستراتيجي العسكري-السياسي^(٤).

(١) اسماعيل، وائل محمد، ١٩٩٧، العلاقات التركية- الأمريكية في إطار مشروع الشرق أوسطي، مجلة دراسات الشرق الأوسط، ص ٨٩.

(٢) شكار، أحمد عبد الرزاق، ١٩٩٩، الفكر الاستراتيجي الأمريكي والشرق الأوسط في النظام الدولي الجديد، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٦)- العرب وتحديات النظام العالمي، تشرين الأول ١٩٩٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ١٩١.

(٣) نوري، قيس محمد، ١٩٩٩، المشروع الأمني الأمريكي- الصهيوني للشرق العربي: الأبعاد الأمنية للشرق أوسطية، سلسلة المائدة الحرة ٤١، حزيران، بيت الحكمة، بغداد، ص ٦٥.

(٤) رياض، مجدي، ٢٠٠٧، مصدر سابق.

كما وكان للدراسات الاستراتيجية الأمريكية شأنها في تعريف المصطلح وبيان أبعاده وامتداداته من كافة الأوجه، بالصورة التي تصب أخيراً في تطور الرؤية الأمريكية وتشكلها استجابة للظروف الدولية الموضوعية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة.

فدراسة بايندر ترى بأن الشرق الأوسط يضم إيران وأفغانستان وباكستان وتركيا وهي أقوى دول المنطقة أما الدول العربية وإسرائيل فهي مركز المنطقة، على اعتبار أن دول المنطقة هذه لها جذور قوية وهي تختلف عن إسرائيل وتخضع لدين واحد هو الدين الإسلامي تدين به أغلبية شعوبها وأن الحدود السياسية لا تفرق بين الأقليات^(١).

بينما أطلق جورج لينسزوسكي هذا التعريف على تلك المنطقة الممتدة من أفغانستان شرقاً إلى مصر غرباً واستثنى دول المغرب العربي ورأى أن هذه الدول ترتبط في تحقيق هدف مكافحة الاستعمار، كما وترتبط بدين واحد هو الإسلام وتجاور الاتحاد السوفيتي، وبينها تاريخ مشترك، وهي منتج رئيس للنفط، وتعبرها الممرات المائية الرئيسية للعالم، كما وترتبط في الصراع العربي الإسرائيلي^(٢).

أما روبرت هركافي فقد ركز في تعريفه على الدول المحيطة بإسرائيل ووضع هذه الدول في مركز تفاعلات الشرق الأوسط ويليها دول الخليج العربي والجزيرة العربية^(٣)

وهكذا ومنذ أواخر السبعينات بدأت ملامح مشروع النظام الإقليمي الجديد في الظهور منذ قيام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، على أن هذا المشروع لم يتبلور بشكله الحالي إلا في مطلع التسعينات بعد أن هيمنت الولايات المتحدة كقطب واحد على إثر انهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الشرقية وحرب الخليج الثانية^(٤).

وفي وثيقة صدرت عن وكالة التنمية الدولية الأمريكية في الثمانينات بعنوان "التعاون الإقليمي للشرق الأوسط"، تم اقتراح إقامة منظومة إقليمية- جغرافية تضم مصر ودول المشرق العربي وتركيا وإسرائيل مستبعدة العراق، ودمج دول المغرب العربي اقتصادياً وأمنياً بدول البحر المتوسط،

(1) Binder, Leonar, 1964, The Ideological Revolution in Middle East, New York, P.245-246

(2) Lenzowiki, George, 1979, The Middle East in World Affairs, Cornell Univ. Press, London, P.8.

(3) Harkavy, Robert, 1979, Strategic Accesses: Bases and Arms Transfer in Middle East, Pergamon Press, New York, Pergamon Press, P 17.

(٤) كياي، ماجد، ١٩٩٨، المشروع الشرق أوسطي: أبعاده- مرتكزاته- تناقضاته، دراسات استراتيجية، العدد ١٣، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص ٤٣.

بينما تعزل اليمن والصومال والسودان وتضم لنظم أمنية ومناطق اقتصادية خاصة بأفريقيا والقرن الأفريقي^(١).

بهذا فإن الرؤية الأمريكية المتمثلة في اتجاه العالمية قد تعززت واقعياً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بولادة نظام دولي جديد ارتبط بتوزيع القوة بين الأمم. وحسب المنظور الواقعي فإن الحاجة تكون للاستعداد العسكري حيث القوة العسكرية ستبقى الحكم في حل المنازعات بين الأمم^(٢). فقد طرحت نهاية الحرب الباردة مع زوال الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية محاولات أمريكية وعبر عملية السلام مفهومًا يربط بين مصطلح الشرق الأوسط وهذه العملية. وفي هذا الإطار تم إعادة صياغة خريطة المنطقة عبر طرح صيغة ملائمة لإدخال إسرائيل في منطقة ينزع عنها مواصفات الجغرافيا التاريخية وسمات التاريخ الحضاري والثقافي، ويشدد فيها على الجغرافيا الاقتصادية المعاصرة في نظام السوق العالمية، لخلق نواة سوق شرق أوسطية تتوسع بالتدريج انطلاقاً من إسرائيل كنواة وقوة جاذبة ومهيمنة اقتصادياً وتكنولوجياً وأمنياً^(٣).

ففي ظل تلك المتغيرات العالمية، غدت الولايات المتحدة القوة العسكرية الاستراتيجية الأولى التي استغلت أزمة الخليج ١٩٩١ وعملت على التعبئة العالمية الشاملة والضخمة ضد العراق لخوض حرب الخليج الثانية. وقد ظهرت تلك القوة العسكرية الانفرادية واضحة في ضرب العراق وإخراجه من الكويت. ولإضفاء الشرعية الدولية على إجراءاتها كان لابد من إشراك الأمم المتحدة في عمليات الأمن الجماعي بإصدار (١٢) قراراً من مجلس الأمن، وبذلك أكسبت إجراءاتها الشرعية والتعددية^(٤).

وجاء الاستمرار في اعتماد استراتيجية الهيمنة العالمية عبر تأكيد الولايات المتحدة دورها العسكري المنظم في العالم الثالث. فالخيار الاستراتيجي الأمريكي يشدد على أهمية حفظ وتدعيم أنظمة حكم تتلاءم و"العالم الحر"، وتجاوزت الاستراتيجية الأمنية الأمريكية السيادة الوطنية للدولة والسلطة الدولية في آن واحد، بحيث نما هذا التوجه أكثر في فترة ما بعد

(١) الرمضاني، مازن اسماعيل، ١٩٩٤، النظام الشرق أوسطي: الرؤى الإسرائيلية والأمريكية، مجلة آفاق عربية، العدد ١، بغداد. ص ٢٤.

(2) Nye, Joseph, S., 1992, What New World Order, Foreign Affairs, Vol. 71, No. 2, Spring 1992, P. 84.

(٣) كوثراني، وجيه، ١٩٩٥، "الشرق أوسطية والتطبيع الثقافي مع إسرائيل: البعد التاريخي وإشكالات راهنة"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٢٣، صيف ١٩٩٥، ص ٩.

(4) Krauthammer, Charles, 1991 The Unipolar Moment, Foreign Affairs (America and the World 1990/91), Vol 70, No 1 . P. 24.

حرب الخليج الأولى مما أدى إلى تحولات جذرية في الأنظمة الاجتماعية والسياسية في مختلف أرجاء العالم^(١).

على هذا النحو أوضح جورج بوش الأب بعد انتهائه من حرب الخليج ١٩٩١، هذه الاستراتيجية والرؤية بقوله: "نحن الأمريكيين نعرف أنه توجد أوقات لا بد معها أن نتقدم إلى الأمام راضين بمسؤولياتنا لقيادة العالم بعيدا عن الفوضى المظلمة للحكام الدكتاتوريين باتجاه وعد مشرق ليوم أفضل^(٢)".

ومنذ العام ١٩٩٧ تأخذ الدراسات الاستراتيجية الأمريكية الاعتماد على المفهوم الأوسع لتعبير الشرق الأوسط، ليشتمل على كل من تركيا وإيران ودول آسيا الوسطى الإسلامية الغنية بالبتروول والسوق الضخمة المرتقبة للسلع الأمريكية المبنية على ضمان الاستقرار والأمن باعتبارها ضرورة استراتيجية للمصالح الأمريكية الحيوية في المنطقة. كما لن يغفل المسعى الأمريكي التقسيم على أسس ثقافية - حضارية عرقية ودينية وبالنتيجة تنال إسرائيل شرعيتها الثقافية المندمجة في إطار أوسع من الأبعاد العسكرية والاقتصادية والسياسية. من هنا فالتعريف الأمريكي يرسم الحدود وفق العمليات الحربية وإغراق المنطقة بالانقسامات والصراعات العسكرية الأتنية التي قد لا تجد حلها سوى برسم حدود سياسية إثنية^(٣).

إضافة إلى ذلك؛ حدث تطور عسكري مهم مرتبط بـ "الشرق الأوسط الكبير" في كانون الثاني ١٩٩٩ عندما نقلت وزارة الدفاع الأميركية أمر القيادة العليا للقوات الأميركية في آسيا الوسطى من قائد القوات الأميركية في الباسفيك (المحيط الهادي) إلى القيادة المركزية "للشرق الأوسط"، أي التي كانت تعرف بقوات الانتشار السريع. ولعل من التدابير المثيرة التي اعتمدها هيئة الأركان الأميركية المنطقة الجغرافية الواسعة التي تشكل إطار العمل لقوات القيادة المركزية، فقد أصبحت تشمل خمسة أقاليم رئيسية هي: الجزيرة العربية، وشمال البحر الأحمر، والقرن الإفريقي، وجنوب آسيا، وآسيا الوسطى، وكما تم تحديد مهام القيادة المركزية في حماية منابع البتروول ودوله، وخطوط إمداده ومواصلاته، بل السيطرة عليه،

(١) أمين، سمير، ١٩٩١، امبراطورية الفوضى، ترجمة سناء أبو شقرا، دار الفارابي، بيروت، ص ٨٣-٨٨.

(2) Kegley, Charles and Eugene R. Wittkopf, eds, 1992, The Future of American Foreign Policy, New York, St. Martin Press. P.5.

(٣) رياض، مجدي، مصدر سابق.

إضافة لمكافحة الإرهاب والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل في المنطقة، وضمان أمن " إسرائيل" وهيمنتها الإقليمية^(١)

وباتت الولايات المتحدة بكل أطرافها السياسية، منذ ١١ أيلول ٢٠٠٠ جادة ومصممة على إحداث تغييرات في الشرق الأوسط. ومقدمات بناء فكرة المشروع كانت قد وردت على لسان عدد من أعضاء الإدارة الأمريكية؛ فقد كتبت كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي في ٧ آب ٢٠٠٣ عن ضرورة تغيير الشرق الأوسط. وتحدث الرئيس جورج بوش عن حرية الشرق الأوسط. وفي منتدى دافوس المنعقد في نهاية كانون الثاني ٢٠٠٤ شرح ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي مشروع الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير. كما وأشار وزير الخارجية كولن باول إلى أن هذه العملية تهدف إلى تحديد شكل العالم الاسلامي في القرن الواحد والعشرين^(٢).

وجاء تطور مفهوم "الشرق الأوسط" في الرؤية الأمريكية، متناغما أيضا مع ما أظهرته الكتابات والدراسات الأمريكية. فالمصطلح لم يبتعد عما تضمنته الكتابات عن مساهمات فكرية تلت ذلك وشكلت مقدماته ومضمونه الثقافي، فاطروحة هنتغتون الصادرة بعد زوال التهديد السوفيتي طرحت الصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وأطروحة فوكاياما "نهاية التاريخ" رأت في النظام الرأسمالي النهاية الحتمية لتاريخ العالم كنظام أيديولوجي واقتصادي ينتهي عنده تاريخ العالم ويصبح نموذج التاريخي الأبدي.

يرى هنتغتون ان أربعة عشر قرنا أثبتت صراعا بين الغرب والإسلام، فالعلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالبا عاصفة.. وأسباب هذا النمط من الصراع يكمن ليس في ظاهرة التحولات المسيحية في القرن الثاني عشر أو أصولية القرن العشرين الإسلامية. انها تتبع من طبيعة الدينين والحضارات المؤسسة على مبادئها.. وتكمن أسباب تجدد الصراع بين الإسلام والغرب يكمن في التساؤلات الأساسية للقوة والثقافة. والقضية هي في جذور الصراع بين الإسلام والغرب.. وفي أعقاب الحرب الباردة تزايدت شدة العداوة التاريخية.. وهناك عدة أسباب لانبثاق الحرب الباردة الاجتماعية بين الإسلام والغرب.. علاقة القيم العلمانية بالقيم الدينية.. العلاقة بالصراع التاريخي بين الإسلام والمسيحية.. الغيرة من القوة الغربية.. الازدراء بالهيمنة الغربية ومرارة

(١) الجبر، محمد، ٢٠٠٦ مصدر سابق.

(٢) نور الدين، محمد، ٢٠٠٤، تركيا والشرق الأوسط الكبير، مجلة شؤون الأوسط، العدد ١١٤، ربيع ٢٠٠٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ص ١٤٨.

الاذلال عند مقارنة الانجازات الإسلامية والحضارات الغربية في القرنين الأخيرين وتداخل الميراث اليهودي المسيحي^(١).

ان صنع السياسة الخارجية يتأثر إلى حد بعيد بالتقافة السائدة في المجتمع، وهذا ما ظهر لدى صانعي السياسة الخارجية في الولايات المتحدة، حيث الانطباعات والصور الذهنية الثقافية لمعظم الأمريكيين نحو العرب والمسلمين تراهم اناسا خطرين وليسوا أهلا للثقة وغير ديموقراطيين، وتكثف هذا بمجيء الثورة الإيرانية وتسلمها الحكم في إيران ليظهر المسلمون أكثر خطرا مما كان عليه الحال في الماضي^(٢).

فأكثريّة من الأمريكيين ترى في الاسلام ثقافة عدائية وصورته شبح الجمهورية الثورية الإسلامية في إيران، إذ ما يزال في نظر الكثير من الأمريكيين ثقافة وأيديولوجية عدائية يشكل خطرا على مصالحهم وثقافتهم وقيم الحرية والديموقراطية وحقوق الانسان^(٣).

النخبة الحاكمة تنظر بدورها إلى الوعي القومي والإسلامي الثوري بعين الريبة والتوجس على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، بضمنها النفط وإسرائيل، وعليه توصف هذه الحركات قبل وبعد تسلمها السلطة السياسية بالعداء، الأمر الذي يعكس بالتالي رسم استراتيجيات تتناسب وهذه الرؤيا السياسية والأمنية، كما وترتبط بهذه الرؤيا مسألة التسلح والحصول على أسلحة الدمار الشامل والأسلحة البايولوجية والكيميائية والنووية، مما يعكس بالتالي هذه الاعتبارات السياسية والأمنية في صناعة القرار الأمريكي^(٤).

إن النخبة العلمانية في الولايات المتحدة لا ترى في الدين نهج حياة ولا علاقة له بتسيير الحياة السياسية، فهو ليس أكثر من منظومة فكرية لها علاقة بالإيمان الشخصي، باعتبار أن الدين مجرد علاقة روحية دينية تنظم علاقة الفرد بالرب، بينما السياسة هي المنظومة التي تنظم علاقة الفرد بالدولة والمجتمع، وهكذا تتنبق رؤية هذه النخبة من الفكر الليبرالي الذي يفصل بين الدين والسياسة، وبالطبع لا بد لهذه الرؤيا أن تتعارض مع الإسلام وعليه يحارب أعضاء هذه النخبة وجزء كبير منها هو النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة، التوجهات الدينية بصورة عامة فكيف

(١) هنتغتون، صموئيل، ١٩٩٩، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك عبيدة أبو شهيو ومحمد محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته- ليبيا، ص ٣٧٢-٣٧٥.

(2) Payne, Richard J., 1995, The Clash with Distant Culture, Values Interests and Force in American Foreign Policy, New York Press. P. 5.

(3) Slade, Shelley, 1981, The Image of the Arab in America, The Middle East Journal, Vol.35, No.2, P. 144.

(4) Djerejian, Edward P., 1993, War and Peace: The Problems and Prospects of American Diplomacy in the Middle East, U.S Department of State Dispath, Vol.4, No.51, 20 December. P. 874.

بالنتيجة يكون موقفهم من الدين الاسلامي ببعديه الروحي من جهة والثقافي - الحضاري الذي لا يتوافق أساسا مع الرؤية الليبرالية^(١).

وبرزت قضية الإرهاب كأكبر القضايا الخطرة في منطقة الشرق الأوسط والعالم بحيث ارتبطت مفاهيم الإسلام والتعصب والتطرف بمفهوم الإرهاب. وفي هذا يقول الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان "لا نبالغ في وصف الأهمية التي سيكون عليها صعود الأصولية الإسلامية بالنسبة إلى بقية العالم في القرن المقبل، خصوصا لو تمكنت عناصرها الأكثر تعصبا كما يبدو محتملا من وضع يدها على أسلحة نووية وكيميائية وعلى وسائل ضرب أعدائها بها". وعلى هذا الأساس تجري المساواة بين الإسلام والإرهاب الذي ينعكس مباشرة على صناعات السياسة الأمريكية^(٢).

وجاء تفكك الاتحاد السوفيتي؛ ليستبدل التحالف الأمريكي الغربي "الفزاعة السوفيتية" بـ "الفزاعة الإسلامية" تبريرا لاستمرار التحالف ورسم الاستراتيجية الأمنية الأوروبية والأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

لقد كان مشروع الشرق الأوسط الجديد، يمثل خطوة عملية لفلسفة المحافظين الجدد، في مباشرة التعامل مع حقبة العالم الجديد وقيادته، عقب نهاية تاريخ العالم القديم بتفكك الاتحاد السوفيتي السابق، كفلسفة مستقاة من تنظيرات فرانسيس فوكوياما التي تقول أن نهاية التاريخ هي نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للبشرية وعملية التعميم الانساني للديموقراطي الليبرالية الغربية على أنها الشكل النهائي للحكومة الإنسانية وهذا ما بدأوا به واقعا في أفغانستان والعراق والصومال، والتحول إلى بلدان أخرى وباعتماد الفعل العسكري باسم التحديث والديموقراطية والعقلانية المعتدلة، حقوق الأقليات^(٣).

(1) Esposito, John, 1992, *The Islamic Threat, Myth or Reality*, Oxford University Press. P.198.

(2) Regan, Ronald, 1990, *An American Life, The Autobiography*, New York Pocket Book. P. 409.

(٣) الفهداوي، فهمي، ٢٠٠٧/١٠/٣٠، مفهوم الشرق الأوسط الجديد والعمل على موت الدول، <http://www.arabrenewal.org/articles/.html>

التتويج العملي لتلك الرؤى الثقافية للنخبة الحاكمة الأمريكية تمثل في احتلال العراق، وبعد ذلك تظهر "فكرة أو مشروع الشرق الأوسط الكبير" بصورتها شبه رسمية حيث يبدأ التفكير على أسس إثنية أشعلت الانقسامات والصراعات الداخلية داخل وخارج العراق^(١).

فالولايات المتحدة ترى في إمكانية عودة الفراغ في الشرق الأوسط في صورة حالة أمنية متفاقمة تشكل نوعاً من التهديد للحضارة الغربية، لذلك وجدت في احتلال العراق فرصة لتحقيق هدفها بفك الارتباط بين الإسلام ودوله، وكذلك تحقيق هدف تنذيب أو إنهاء فكرة القومية ومحاصرة النظام العربي بالهيمنة الغربية والإسرائيلية. وبنتيجة ذلك العمل على استنساخ النموذج الأمريكي من القيم والحريات والديموقراطية في منطقة مسكونة بالأساس بالثقافة الإسلامية^(٢).

وهذا المضمون هو جوهر مشروع التفكير وإعادة بناء الدول المستهدفة، مع مراعاة مدى كون البيئة العراقية اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى، من هذا المشروع الذي انطلق أصلاً من فرضية تفكيك الوحدة الكلية للدولة، باتجاه الفيدرالية ثم التقسيم، ترسيخاً للرؤية الإستراتيجية، بأبعادها التاريخية والحضارية، بفعل القوة الأمريكية الجديدة المتصاعدة في قدرتها على إيجاد نماذج نظم بديلة في حكم الدول التاريخية^(٣).

جاء ذلك بدأت منطقة الشرق الأوسط تغرق في المشاكل الداخلية والانشقاقات والصراعات الدينية والطائفية والاثنية والأقلياتية، مما يساعد في امتداد إسرائيل والاختراق الأورو-أميركي للدول والقوميات الشرق أوسطية. وأن ثمة احتمالات مستقبلية لا تتحصر في مشهد واحد ومنها تفكك النظام العربي الحالي إلى أنظمة فرعية مندمجة في أنظمة إقليمية تضم دولاً في المحيطين العربي وغير العربي، مع تأسيس نظام شرق أوسطي كإطار أوسع وأشمل لتلك الأنظمة العربية^(٤).

(١) نور الدين، محمد مصدر سابق، ص ١١.

(٢) علي، محمد جواد، ٢٠٠٤، ندوة الشرق الأوسط الكبير، شؤون الشرق الأوسط، العدد ١١٤، ربيع ٢٠٠٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ص ١٢.

(٣) الفهداوي، فهمي، مصدر سابق.

(4) Naseef A.O.1988, Today's Problems, Tomorrow's Solutions: the Future Structure of Muslim Societies, Mansell, London. P. 112.

تنتهي تلك المقدمات بالولايات المتحدة إلى صياغة الخارطة الجيوسياسية للمنطقة، تضمنت شقين لهذا المفهوم: الأول؛ يتمحور حول إعادة صياغة الهوية الوطنية والثقافية للدول الإقليمية. والشق الثاني؛ يدور حول توازن القوى في المنطقة، وداخل إطار مسعى رئيسي طالما سعت الولايات المتحدة إلى تحقيقه وهو الحفاظ على التفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة^(١)

مشروع الشرق الأوسط الكبير

أجرت واشنطن مناقشات عديدة مع بعض السفراء الأوروبيين في واشنطن بغرض أن يكون مشروع الشرق الأوسط الكبير الموضوع الرئيسي على جدول أعمال قمة الدول الصناعية الثماني الكبرى في جورجيا بالولايات المتحدة والتي ستعقد في حزيران ٢٠٠٤. وكانت هذه المشاورات بهدف التنسيق بين التصور الأمريكي والتصور الأوروبي (المبادرة الألمانية) التي تقدمت بها ألمانيا ممثلة في وزير خارجيتها يوشكا فيشر في شباط ٢٠٠٣ إبان القمة الأوروبية التي عقدت في ألمانيا والتي دعت إلى إصلاح ديمقراطي في الشرق الأوسط وأساساً في الدول العربية، ولكنه نابع من الداخل إلى جانب مشروع تنمية متكامل وإصلاح عربي وتنمية مستدامة^(٢).

من هنا تجدر الإشارة إلى أن مشروع الشرق الأوسط الكبير لم يكن ولم يعد أمريكياً محضاً، بل دخل الاتحاد الأوروبي على الخط وتحول إلى "شراكة أوربية" مع المبادرة الألمانية التي أقرها الاتحاد في قمته سألقة الذكر التي ربطت بين الإصلاح الديمقراطي والتنمية الاقتصادية والتعاون الإقليمي^(٣).

الشرق الأوسط الكبير، هو مصطلح أطلقته إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش على منطقة واسعة تضم كامل العالم العربي إضافة إلى تركيا وإسرائيل وإيران وأفغانستان وباكستان. وقد أطلقت الإدارة الأمريكية المصطلح في إطار مشروع شامل يسعى إلى تشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة. وتم الإعلان عن نص المشروع في نيسان ٢٠٠٤ بعد أن طرحته الإدارة الأمريكية على مجموعة الدول الصناعية الثماني^(٤).

(١) الهباش، خالد نايف، مصدر سابق.

(٢) صحيفة الأهرام القاهرية، ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٤.

(٣) ثابت، أحمد، ٤ / ٣ / ٢٠٠٤، الشرق الأوسط الكبير،

<http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem/2004/03/article01.shtml>

(٤) <http://ar.wikipedia.org/wiki>

نصت وثيقة المشروع الأمريكي لـ"الشرق الأوسط الكبير على مجموعة من المقترحات لإعادة بناء منطقة الشرق الأوسط، استندت على تقرير الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية للعامين ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ مينة "النواقص الثلاث: الحرية والمعرفة وتمكين النساء" للحيلولة دون خلقها للظروف التي تهدد المصالح الوطنية لمجموعة الثماني، ودون تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة، للعمل على عدم زيادة التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة، حيث أظهرت الإحصائيات التي اشتمل عليها التقرير أن أوضاعاً مروعة في الشرق الأوسط الكبير^(١).

تضمنت الوثيقة بدائل مقترحة سيجري العمل على تطبيقها بواسطة شراكة ثلاثية تتكون من الولايات المتحدة والأوروبيين والأطراف المعنية في منطقة "الشرق الأوسط الكبير". وعليه اقترحت الوثيقة العمل على "الإصلاح" والتحرك في الشرق الأوسط الكبير بواسطة نشطاء وأكاديميين والقطاع الخاص في أرجاء المنطقة، معلنة استجابة الزعماء في الشرق الأوسط الكبير، فاتخذوا خطوات في اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، كما وأيدت مجموعة الثماني باعتماد مبادرة "الشراكة الأوروبية المتوسطية" ومبادرة "الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط" وعبر جهود إعادة الإعمار المتعددة الأطراف في أفغانستان والعراق بعد "تحريرهما" من نظامين قمعيين ونشوء "نبضات" ديمقراطية في أرجاء المنطقة. وهذا التوجه سيتيح لمجموعة الثماني "فرصة تاريخية" في قمتها في "سي آيلاند" لتصوغ "شراكة بعيدة المدى" مع "قادة الإصلاح" في الشرق الأوسط الكبير لمعالجة "النواقص" التي حددها تقرير الأمم المتحدة ممثلة بمعالجات تشتمل على: "تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح" و"بناء مجتمع معرفي" و"توسيع الفرص الاقتصادية"، وتم تحديد أولوية الإصلاح كمقدمة لتحقيق داخله التنمية باعتماد الديمقراطية والحكم الصالح^(٢).

وقد أوردت الوثيقة بالاستناد إلى تقرير منظمة "فريدوم هاوس" للعام ٢٠٠٣ أن إسرائيل هي البلد الوحيد في الشرق الأوسط الكبير الذي صنف بأنه "حر"، بينما وصف التقرير أربعة بلدان أخرى بأنها "حرة جزئياً"^(٣).

(١) العناني خليل، ٢٠٠٤، الشرق الأوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٦، ص ٩٨..

(٢) جريدة الحياة اللندنية، نص مشروع الشرق الأوسط الكبير، ١٣ / ٢ / ٢٠٠٤.

(٣) مجلة السياسة الدولية، مصدر سابق، ص ٢٩٨.

وفي سياق تشجيع "الديموقراطية والحكم الصالح" طرحت الوثيقة العمل على تحقيق ذلك من خلال: مبادرة الانتخابات الحرة، والزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني، وتأسيس معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء، وتقديم المساعدة القانونية للناس العاديين، ومبادرة تحسين وسائل الإعلام المستقلة نوعياً، وأن يتم تشجيع تبني مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد المعتمدة لدى مجموعة الثماني، ودعم مؤسسات المجتمع المدني مالياً وتقنياً وتدريبياً^(١).

أما على مستوى بناء مجتمع معرفي؛ فيجب اعتماد مبادرة التعليم الأساسي بمحو الأمية وتشكيل فرق محو الأمية لتعليم النساء وترجمة الكتب الأساسية في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة والمؤلفات الكلاسيكية لدول الثماني وتزويدها للمكتبات الجامعية والمدرسية في المنطقة، كذلك إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العربية الخارجة عن التداول. والبدء في تنفيذ مبادرة إنشاء "مدارس الاكتشاف" باستعمال التكنولوجيا المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة؛ كما هو مطبق في الأردن، وتوسيع فكرتها في أرجاء المنطقة، وإصلاح ومعالجة التعليم، وتشجيع المنطقة على تنفيذ مبادرة التعلم عبر الانترنت، وتنفيذ مبادرة تدريس إدارة الأعمال وإقامة شراكات بين مدارس الأعمال في مجموعة الثماني والمعاهد والجامعات التعليمية في المنطقة^(٢).

وعلى المستوى الاقتصادي؛ يجب تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير التي تتطلب تحولاً اقتصادياً يشابه في مداه ما عملت عليه الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية. وهذا التوجه يتطلب تطبيق مبادرة تمويل النمو باقراض المشاريع الصغيرة وإنشاء مؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير لتمويل مشاريع الأعمال على المستويين المتوسط والكبير، وإقامة شراكة من أجل نظام مالي أفضل، وتنفيذ مبادرة التجارة بالانضمام إلى منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة وإقامة المناطق التجارية ومناطق رعاية الأعمال وتشجيع التعاون الإقليمي كمنبر للفرص الاقتصادية في الشرق الأوسط الكبير^(٣).

(١) الزبيدي، حسن لطيف كاظم، ٢٦ آذار ٢٠٠٥، الشرق الأوسط الكبير ودوره في صياغة قرار الحرب الأمريكية على العراق: اختبار الفرضيات، ندوة الحرب الأمريكية على العراق: الأهداف والنتائج، مركز العراق للأبحاث، بغداد، ص ٢١.

(٢) مجلة شؤون الأوسط، ربيع ٢٠٠٤، وثيقة المشروع الأميركي للشرق الأوسط الكبير، العدد ١١٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ص ٢١٢-٢١٤.

(٣) اسكندر، كريستين عبد الله، تموز ٢٠٠٤، الشرق الأوسط وإفريقيا في قمة مجموعة الثماني، العدد ١٥٧، السنة الأربعون، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص ١٧١.

إن القراءة الأولية لهذا المشروع تبين عمق التوافق والشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وبقية دول المجموعة الصناعية الكبار "مجموعة الثماني" في ضوء النتائج التي توصل إليها تقرير الأمم المتحدة بخصوص واقع ومستقبل التنمية البشرية لبلدان منطقة الشرق الأوسط الكبير، مسترشدة بنموذج أفغانستان والعراق كطريق لإحداث التغيير في بقية البلدان الشرق أوسطية المدرجة على قائمة المشروع، بمعنى اعتماد القوة المسلحة طريقاً لتطبيق عناصره وتحقيقاً للأهداف التي تحول دون تحديد المصالح "الوطنية" المهددة بالتطرف والإرهاب، تماماً كما هي المبررات الأمريكية التي اعتمدت "تحرير" كل من العراق وأفغانستان من "أنظمتها القمعية" عبر الإصلاحات الديمقراطية كمقدمة لتنمية اقتصادية واجتماعية للواقع الشرق أوسطي "المروع". كما واعتمد المشروع في توجهاته "التغيرية المستقبلية" على تقرير منظمة فريدوم هاوس بالتأكيد على "النموذج الإسرائيلي" المكتمل والإشارة إلى "نماذج جزئية" شرق أوسطية، بمعنى اتخاذ إسرائيل "معيار ومسطرة" تقاس على أساسها مخرجات المشروع المستقبلية، وبالنتيجة احتلالها موقع القيادة في النظام الشرق أوسطي الكبير.

كما يظهر التوافق الأمريكي الأوروبي مع الوثيقة الأمريكية في نص المشروع الفرنسي-الألماني عبر تشكيل رؤية مشتركة لمستقبل الشرق الأوسط تتلخص في أن مستقبل منطقة الشرق الأوسط مصدر قلق مشترك لكلا الطرفين الأمريكي والأوروبي في المنطقة معبراً عنه في استعداد الأوروبيين لدعم بلدان الشرق الأوسط وتشجيعها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا ما جرى تأكيده بوساطة وزير الخارجية الألمانية "يوشكا فيشر" بتأييد المبادرة الأمريكية لاصلاح الشرق الأوسط، على اعتبار أن التهديد المشترك للأمن الأوروبي والأمريكي يتمثل في "الارهاب الجهادي" وارتباطه بظاهرة السلطوية والحكم الشمولي في المنطقة^(١).

إن التهديد للغرب، كجزء من محاور الجدل الأمني في الولايات المتحدة وأوروبا، لم يعد مرتبط بعدوان عسكري مباشر بقدر ما هو نتاج عدم الاستقرار والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية العالمية، بحيث باتت قضايا الارهاب والهجرة والتضخم السكاني في بلدان الجنوب والتمايز والاختلاف الحضاري جزءاً هي الأخرى من ذلك الجدل الأمني^(٢).

(١) غالي، إبراهيم، ٢٠٠٤، الاتحاد الأوروبي: استراتيجية للدفاع المشترك، مجلة السياسة الدولية، السنة الأربعون، العدد ١٥٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص ١٤١.

(2) Kaiser, Karl, 1980, Political Economic Report, The Atlantic Community, Vol. 17, No. 4, P. 48.

أما على صعيد "الأطراف المعنية" الشرق أوسطية المستهدفة بالتغيير، فقد تباينت مواقفها تجاه المشروع؛ منها من كان متناغما معه ومنها من كان معارضا، فكان أن التقت الأطراف المعارضة للمشروع؛ الرسمية الحكومية وغير الرسمية غير الحكومية، على موقف معارضة انطلق كل منها من مبررات مختلفة، إن لم تكن متناقضة.

إن معظم الدول العربية قبلت الدخول في المشروع شرق الأوسطي عندما كان يقتصر على التعاون الاقتصادي والتنسيق الأمني، لكن عندما توالى تصريحات وأفكار إدارة بوش الابن عن أن الشرق الأوسط الكبير هدفه الرئيسي إدخال الشرق الأوسط في دائرة الديمقراطية العالمية بالمعايير الأمريكية، وجدت في ذلك تهديدا لأنظمتها السياسية وإذا بإدارة بوش الابن تعلن عن تصميمها على ضم الشرق الأوسط إلى دائرة الإصلاح الديمقراطي والسياسي ولو كان ذلك بالقوة، وكذلك حتى لو أدى إلى إغضاب الأصدقاء والحلفاء من الدول العربية الصديقة^(١).

هذه المواقف أظهرتها المناقشات والتفاعلات مسبقا ما قبل وبعد القمة ببروز التباين بين تيارين؛ الأول تقوده الولايات المتحدة لفرض المشروع من الخارج، بينما التيار الثاني الذي قادته الدول العربية وتعاطفت معه فرنسا وألمانيا وروسيا يركز على أن قضية الإصلاح هي داخلية وعملية تراكمية ومستمره تنبع من خصوصية وثقافة كل مجتمع^(٢).

إن التأكيد الأمريكي على استراتيجية فرض المشروع بالقوة من الخارج جاء على لسان الرئيس بوش الذي يرى بأن المؤسسات القديمة وكذلك التحالفات والقواعد لم تعد مناسبة لحماية الشعب الأمريكي، وأنه إذا لم يتمكن من قمع الإرهابيين، فإن ميدان عملهم سوف يتسع، وإذا تمكنوا من الوصول إلى أسلحة التدمير الشامل فسوف تترتب نتائج خطيرة. وخاطب بوش الدول العربية بالذات والعالم عموماً بأن الولايات المتحدة سوف تتصرف في الوقت وبالطريقة التي تلائمها وتراها مناسبة عندما تتوصل إلى وجود رابطة بين

(١) ثابت، أحمد، مصدر سابق.

(٢) اسكندر، كريستين عبد الله، مصدر سابق.

الإرهابيين والتكنولوجيا المدمرة. بل ذكر أنه من الضروري هزيمة أعداء الولايات المتحدة وعدم الاكتفاء بالاعتراض على وجودهم^(١).

اتجهت رؤية بوش إلى إعادة صياغة كاملة للخريطة الجيو إستراتيجية للمنطقة العربية تتضمن الغاء النظام الإقليمي العربي، والعمل على المقومات الثقافية/ الحضارية للوطن العربي عبر تذويب هذا الفضاء السياسي الجغرافي التاريخي الثقافي المشترك في نطاق إستراتيجي أوسع يمتد من بحر قزوين وشمال القوقاز شمالاً وشرقاً إلى المغرب غرباً. "الشرق الأوسط" منطقة الاضطرابات في العالم ومصدر كبرى المشكلات والتهديدات القديمة والمستجدة للأمن القومي الأمريكي مثل الإرهاب وانتشار أسلحة التدمير الشامل والأصولية والتطرف والهجرة غير المشروعة... إلخ. وعليه فإن الولايات المتحدة عازمة على أن تقوم بنفسها؛ بمهمة إعادة الهيكلة الشاملة للوطن العربي والعالم الإسلامي عبر مشروع "الشرق الأوسط الكبير"^(٢).

من هنا نهجت إدارة بوش الابن سياسة الضربة الاستباقية كما حدث للعراق، بانتهاج سياسة الهجوم بدلاً من الاحتواء والردع التي كانت قد ميزت سياسة الولايات المتحدة ممثلة بمبدأ ترومان في الاحتواء ومبادئ سياسة الردع التي ظهرت في عام ١٩٥٠. وتهدف إدارة بوش من الحرب الاستباقية إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط الكبير بما فيها إيران وأفغانستان وباكستان وبعض الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وبلاد الخليج لتحقيق المصالح الأمريكية، يرافق ذلك تغيير مناهج التعليم في المراحل الابتدائية والثانوية وحتى تغيير كتب الدين الإسلامي والتربية القومية والسياسات الإعلامية والفكرية والاجتماعية، واعتماد الضربات الوقائية أو الحروب الاستباقية أو التهديد بها لكسر إرادات الحكومات المعنية^(٣).

بهذا فقد مهدت أحداث وظروف دولية لإعادة رسم خريطة منطقة الشرق الأوسط، فكان انهيار الاتحاد السوفيتي حدثاً كونياً دفع الولايات المتحدة لتولي قيادة العالم، وتبع ذلك حرب "عاصفة الصحراء" التي أعلنت نهاية نظام عالمي وبداية نظام جديد تقوده الولايات المتحدة بمفردها، وتحشد إلى جانبها كل القوى الحليفة والتابعة باتجاه فرض صورة العالم الجديد في منطقة الشرق الأوسط بشراكة ثلاثية رئيسية؛ أمريكية وأوروبية وإسرائيلية.

(1) Nye, Joseph S., 2003, *US Power and Strategy after Iraq*, Foreign Affairs, vol. 82, No. 4, July/August.

(2) Albright, Madeleine, 2003, *Bridges, Bombs or Bluster*, Foreign Affairs, vol. 82, No. 5, September/October.

(٣) أبو دية، سعد، ٢٠٠٤، الشرق الأوسط الجديد: تداعيات أزمة العراق، موسوعة دهشة، العدد ٦٢، تشرين الأول ٢٠٠٤، www.dahsha.com/viewarticle.php

فكان عام ١٩٩١ عاما مفصليا في النظام الدولي، إذ مكن الولايات المتحدة قيادة العالم وإعادة صياغة أدوات العمل والتحالفات بما يخدم المصالح الأمريكية، من خلال اقامة ترتيبات اقليمية وأمنية بهدف الحفاظ على الأمن والاستقرار، وتأكيد وتقوية الروابط مع النظم الحليفة والحصار والضغط على النظم المعادية^(١).

بهذا تبدو العناصر الأساسية في البعد الاستراتيجي لنظام الشرق الأوسط المقترح في نقيت نظرية واستراتيجية الدفاع العربي المشترك بإقامة مفهوم أمن اقليمي لا قومي عربي من ناحية، وضمان التفوق العسكري الإسرائيلي وتمكينها من التغلغل في الدول العربية وربطها باتفاقيات أمنية مع الدول العربية من ناحية أخرى بتكريس الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة وعقد الاتفاقيات وإجراء المناورات المشتركة^(٢).

وعلى هذا النحو جاء المشروع الشرق أوسطي كصياغة اسرائيلية بدعم أمريكي بهدف بناء ما أسماه شيمون بيريز "الشرق الأوسط الجديد" الذي تلعب فيه إسرائيل دورا رئيسيا وقياديا. إن شيمون بيريز بات يبحث وفق مشروعه الشرق أوسطي ليس عن أمن عسكري وحسب، بل عما هو أعمق من ذلك؛ فالمطلوب بناء عمق اقتصادي وسياسي وثقافي يحقق الأمن الإسرائيلي.

فقد عبر شمعون بيريز في كتابه الصادر في خريف عام ١٩٩٣ بعنوان "الشرق الأوسط الجديد"؛ الذي طرح فيه رؤيته المتعددة الأبعاد؛ فأمنيا بتوقيع اتفاقات ومعاهدات لخفض التسليح بهدف المحافظة على الأمن والاستقرار. واقتصاديا العمل على تنمية المنطقة بغرض تغيير الأوضاع الاقتصادية وتحسينها بصفتها الدافع الكامن وراء انتشار الأصولية والحركات الراديكالية، وتنمية

(١) معروف، هدى شاكر، ١٩٩٩، اتجاهات السياسة الخارجية الاسرائيلية: دراسة مستقبلية، اطروحة دكتوراه غير منشوره مقدمه إلى كلية العلوم السياسية، جامعة صدام، ص ١٧٥.

(٢) مسلم، طلعت أحمد، ١٩٩٨، البعد الاستراتيجي للمشروع الشرق أوسطي، ندوة مخططات التعاون بين اسرائيل والدول العربية: من التطبيع إلى الهيمنة، رؤية عربية من ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٦، الشرق أوسطية: مخطط أمريكي صهيوني: دراسات حول مخاطر التطبيع والعمل العربي في المواجهة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٦٣.

التعاون في المجالات العلمية والتقنية. وهذا لا يتأتى إلا بتعاون تكون فيه الشراكة بين العرب وإسرائيل والقوى الغربية الداعمة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا^(١).

وفي داخل هذا النظام الإقليمي الشرق أوسطي تقوم معادلة تقسيم عمل بين الأطراف ذات العلاقة؛ لخصها شيمون بيريز في حديث له عام ١٩٩١ بقوله: "إن المعادلة التي تحكم الشرق الأوسط الجديد سوف تتكون من النفط السعودي والأيدي العاملة المصرية والمياه التركية والعقول الإسرائيلية. علينا أن لا نفكر فقط بترتيبات أمنية على بعد ثلاثين كم بل بما هو أبعد من ذلك بترتيبات في مناطق قد ينطلق منها صاروخ يهدد أمننا، مما يتطلب منا بناء شبكة من العلاقات السياسية التي يكون بمقدورها تغطية كل مواقع الخطر في شبكة العلاقات العسكرية المجردة.. وأضاف شيمون بيريز تصوره معالم السلام القادم في الشرق الأوسط على أنه أولا وقبل كل شيء هندسة معمارية ضخمة، هندسة تاريخية لبناء شرق أوسط جديد متحرر من صراعات الماضي ومستعد لأخذ مكانه في العصر الجديد، العصر الذي لا يطبق المتخلفين ولا يغفر للجهلة^(٢).

والأوروبيون من جانبهم كانوا قد طرحوا فكرة الشراكة الأوروبية- المتوسطية بين أوروبا ودول جنوب حوض المتوسط منذ عام ١٩٩٢، بهدف إقامة منظومة تعاون إقليمي خاصة بعد التغيرات الناجمة عن انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المنظومة الاشتراكية والتحالفات السوفيتية الدولية، كذلك في ضوء ما حدث من نتائج بعد حرب الخليج الثانية وانتقال الصراع العربي- الإسرائيلي إلى مرحلة التسوية السلمية برعاية دولية في مؤتمر مدريد. وقد ساهمت جملة عوامل في هذه الشراكة تمثلت في اعتبار منطقة جنوب البحر المتوسط مجال حيوي لأوروبا، وبغرض تحقيق السلام في الشرق الأوسط، والمحافظة على مفهوم الأمن الشامل، علاوة على ما تتمتع به المنطقة من أهمية اقتصادية وسياسية وثقافية بالنسبة لأوروبا، وكذلك الرغبة الأوروبية في فتح أسواق الدول المتوسطية^(٣).

وفي اجتماع وزراء دفاع الناتو في اسبانيا ١٩٩٤ أعلن وزير الدفاع الأمريكي وليم بيريز أن الجبهة الأمنية الرئيسية للناتو انتقلت من أوروبا الوسطى إلى الجبهة الجنوبية. كما وتؤيد ذلك

(١) بيريز، شمعون، ١٩٩٤، الشرق الأوسط الجديد، دار الجليل، عمان، ص ٨٠-٨٢.

(٢) بيريز، شيمون، ١٩٩٢، عصر جديد لا يطبق المتخلفين ولا يغفر للجهلة، ماذا بعد عاصفة الخليج/ مجموعة من المؤلفين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ص ١٠٤-١٠٧.

(٣) المصطفى، خلدون خالد كريم، ٢٠٠١، الآفاق المستقبلية للتنافس الأمريكي الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، عمان، ص ١٧٧-١٨٤.

ورقة أصدرها الناتو حول التهديدات الأمنية بالقول أن التحدي الأكبر الذي يواجه تحالف الناتو يتعلق بكيفية التعامل مع دور الإسلام والقومية على طول شاطئ المتوسط^(١)

على هذا النحو يظهر التوافق الأمريكي الأوروبي حول مضامين المشروع الأمريكي لمنطقة الشرق الأوسط بصورته الجيو- سياسية والاقتصادية والأمنية والتاريخية والاقتصادية والثقافية، بحيث يبدو المشروع الأمريكي متجاوبا ومنسجما مع المشروع الاستعماري منذ الفترة التي أطلق عليها "المسألة الشرقية"، وبالنتيجة لم تبتعد تركيا عن هذا المشروع الشرق أوسطي الغربي بصورة أو أخرى، سيما بعد تخليص العراق من بعده الشرق أوسطي العربي وقوته الإستراتيجيوسياسية، ودخول إيران على "الخط الانقسام"، والدفع باتجاه تفتيت الشرق الأوسط على أسس دينية- طائفية تحول دون ظهور "الإحيائية الإسلامية" باعتبارها من وجهة النظر الأوروأمريكية مصدر التطرف الديني الذي يهدد استقرار المنطقة والمصالح الحيوية للغرب، وهذا كان من بين أحد أهم الأهداف التي تضمنها المشروع الأمريكي.

يذكر الكاتب التركي إبراهيم قره غول، بأن الشرق الأوسط الكبير نوقش بالاسم نفسه في خريف ١٩٩٥ في واشنطن وتضمن إشارة إلى دور تركي.. وأن رجب أردوغان وعبد الله غول كانا سابقين إلى الدعوة لتغيير المجتمعات الإسلامية في مؤتمرات ماليزيا وطهران والكويت وغيرها، وإقامة مجتمعات مفتوحة وتطور العلاقات التجارية وإيجاد حلول بعيدا عن الحروب. وتركيا ستكون الطليعة في هذه العملية التاريخية، ونجاحها ومن ثم عضويتها في الاتحاد الأوروبي سيسهل الحلول في الشرق الأوسط الكبير، وأن تكون نموذج ومصدر إلهام في هذا الطريق. لكن مستشار رئيس الحكومة التركية أحمد داود أوغلو يذكر بأن التدخلات العسكرية في الشرق الأوسط فتحت جروحا كبيرة. ومن هنا يرى بأن التغيير هو بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتطوير الطبقة المتوسطة المفتوحة على العالم يساعد ويسهل السلام وتغيير الأنظمة بصورة سلمية دون دماء^(٢).

على هذا الأساس ربما تجد الولايات المتحدة في تركيا الحليف المفضل في المنطقة للمراهنة مستقبلا على دور تجاه إيران، وعلى المستوى السياسي، فتركيا المسلمة العلمانية تمثل الإسلام المتسامح الذي يمكن أن يكون النموذج المقابل إن لم يكن المواجه للأصولية الإسلامية في المنطقة، خاصة وأن هذا التوجه التركي تؤكد قيادات الحكم وحزب العدالة والتنمية؛ فقد أعلن عبد الله جول وزير الخارجية التركي في القمة الاقتصادية الآسيوية التي عقدت في تايلاند في تشرين الأول ٢٠٠٣

(1) Koechler,Hans,1997,U.S European Relations after the end of the East-West Conflict;Implications for Eoro-Mediterranean Cooperation,Paper Presented at the North-south Mediterranean system Position: partnership of dissociation, Baghdad, P.6.

(٢) نور الدين، محمد، مصدر سابق، ص ١٤٩.

أن "المجتمع الإسلامي قادر على التغير والتكيف مع التحديث". ويرى المحللون الأمريكيون أن تراث تركيا الإسلامي لم يمنعها من نبذ كراهية اليهود والاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع إسرائيل، وأن على الولايات المتحدة أن تستكشف الدور الإيجابي الكبير الذي من الممكن أن تلعبه تركيا في منطقة الشرق الأوسط^(١).

من هنا فإن التنفيذ العملي المسبق للمشروع الأمريكي الشرق أوسطي الكبير، قد عجل من خروج العراق من المعادلة الإقليمية كأحد الدول الفاعلة في المنطقة مما ساعد في تعاظم الدور التركي، والإيراني أيضا الذي مهد إلى إغراق المنطقة في انقسامات دينية طائفية تجوب كل الوحدات الجيو- سياسية الشرق أوسطية، وهذا ما يشرعن الوجود الإسرائيلي بصفته دولة يهودية كغيرها من الدول الغارقة في استحقاقات مشروع إعادة البناء السياسي والاقتصادي والأمني الكبير على مستوى المنطقة الشرق أوسطية الكبيرة، وبالنتيجة ضمان انسياب المصالح الحيوية الشاملة للغرب الأمريكي والأوروبي.

وربما أن هذه الرؤية التوافقية كانت أكثر وضوحا بعد "إدارة أوباما" بالتراجع عن نهج التغيير بواسطة القوة العسكرية خاصة في منطقة الجوار الأورومتوسطي، بينما يتم تكثيفها في أفغانستان وباكستان، لكن دون استبعاد بقية كل الخيارات الأخرى؛ خاصة ما يتعلق الأمر بإيران والموقف من أمن إسرائيل والحرص على استمرار عملية السلام عبر البوابة التركية مع بقية الأطراف العربية.

(١) حنفي، عبد العظيم محمود، ٢٠٠٤، اتجاهات جديدة في السياسة الخارجية التركية، مجلة السياسة الدولية، السنة الأربعون، العدد ١٥٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص ١١.

خاتمة

الشرق الأوسط قلب العالم ومن يسيطر على القلب يخضع الأطراف، ربما هذا من بين أحد أهم أهداف القوى العالمية الفاعلة وعبر كل مراحل التاريخ وصيرورتها الموضوعية. فهو يتمتع بموقع استراتيجي يتوسط العالم، ويشتمل على تنوع ثقافي حضاري يتكون من شعوب أفريقية وآسيوية كانت وما زالت على علاقة تعايش حينا وصراع حينا آخر مع تلك القوى. كذلك هو مورد هام للخامات الصناعية وعلى رأسها النفط؛ مورد التحكم بطاقة الأرض والعجلة المحركة لدواليب الصناعة والموصلات الدولية، وفوق ذلك هو سوق واسعة الأرجاء وطاقة كبيرة من الموارد البشرية.

هذه الميزات وربما غيرها الكثير هيأته مجالا حيويًا للمصالح الجيو-سياسية والاقتصادية والعسكرية- الأمنية التي يعني الإمساك بها، تحكما بعيد المدى بالأطراف المحيطة به. فكان التنافس الدولي عليه هدفاً استراتيجياً، عبر عن نفسه بالصراع حينا وبالشراكة وتقاسم النفوذ حينا آخر، لذلك كان لا بد أن يكون متناغما مع تلك السياسات ومقسما فيما بين القوى الدولية الفاعلة والمؤثرة في السياسات العالمية لرسم خريطة النفوذ والهيمنة، فتحلل أجزاءه بالقوة العسكرية، وتهيمن عليها بالقوة الاقتصادية، وتربطها بأحلاف بدأت فيه منذ الصعود الحديث للقوى الغربية، التي كانت أوروبية بداية وأمريكية في النهاية، مع الاستمرار عبر صيغة تحالف وتفاهم ضمني وصريح في آن واحد، انتهى بعد الحرب الباردة بصيغة "الشراكة" الأمريكية- الأوروبية والتبادلية المصلحية فيما بينها.

لكن زراعة إسرائيل في المنطقة دفع أكثر نحو التواجد الغربي أكثر والتطبيق الفعلي لاستراتيجية الأحلاف المنبثقة من مقدمة تقسيم المنطقة على أسس جغرافية وإثنية يدفع النظام الشرق أوسطي إلى تفتت النظام الإقليمي العربي كنظام وكبعد قومي تزايدت على إثره أدوار إسرائيل وتركيا وإيران وتدخلهم في شؤون النظام العربي. وصارت عملية السلام العربي- الإسرائيلي جزءا لا يتجزأ من مفهوم "الشرق الأوسط".

فقد دفعت عملية السلام بمقدماتها؛ المفاوضات، ومخرجاتها؛ اتفاقيات السلام العربية- الإسرائيلية إلى ادماج مؤسسات الدولة العربية؛ السياسية والاقتصادية والأمنية في مهام وأدوار النظام الشرق أوسطي الجديد، حيث تتقلب المعادلة المعلنة من "إدماج" إسرائيل في المنطقة إلى إدماج النظام العربي بما يعنيه تعريف الشرق الأوسط الجديد لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية وأمنية للقوى "الشريكة" والبلدان العربية المتماهية معها، وعلى أساس استراتيجية تقاسم العمل الإقليمي بين الأطراف الشريكة.

ان أبرز مقدمات مشروع الشرق الأوسط الكبير العملياتية كانت احتلال أفغانستان والعراق وإقامة قواعد أمريكية في آسيا الوسطى مهدت إلى الدعوة لتغيير بلدان المنطقة؛ سياسيا واقتصاديا وثقافيا- اجتماعيا.

وربما أن ما يجري في المنطقة من تفاعلات سياسية واقتصادية وثقافية- حضارية من الممكن أن يكون لها دور في تقرر مصير العالم في العقود المقبلة. فالمنطقة تعيش صراع حضاري يعاد إنتاجه إسلاميا وتقوده منظماته التي تجد من السهولة القدرة في حشد الشعوب المهددة في ثقافتها واقتصادها الذي ينوء عبء الأزمة المالية العالمية، ومن هنا ما زالت الأنظمة السياسية في البلدان الإسلامية تستخدم إستراتيجيات أمنية و"طائفية" في مواجهة "إيران الشيعية" الداعمة للتوجهات الإسلامية بشقيها؛ خاصة قوى المقاومة الإسلامية، خشية التغيير من الداخل الذي كان يمثل الرؤية الأوروبية المقابلة أو المختلفة مع الرؤية الأمريكية.

ما حدث في العراق من انقسام اثني حاد (عربي وديني وطائفي وعشائري وسياسي- فكري) مهد بل وأسهم في سهولة احتلاله وتجسير الخلافات والتناقضات لصالح الاحتلال نفسه والنظام السياسي البديل والجديد، بل وفي إعادة إنتاج الانقسامات بشتى أنواعها، مما فتح أعين الأمريكان على واقع ثقافي تعددي ومتنوع يعيد تقسيم المقسم وتوسيع إطار التقسيم الاثني ليغطي كامل منطقة الشرق لأوسط "الكبير" باعتماد إستراتيجية "التفكيك وإعادة التركيب"، وهذه كانت أولى أولويات المشروع.

إن كل مضامين وترتيبات وآليات النظام الجديد ما هي سوى خلق جديد ومتجدد لخريطة شرق اوسطية هدفها وآلية عملها "ديمومة التمزيق" واستمرارية "الهدم" للكيانات السياسية والإقليمية لصالح وحدات انقسامية- ثقافية اثنية أصغر تدفع نحو مزيد من التحولات المستقبلية تضمن هيمنة وسيطرة القوى العالمية والإقليمية اقتصاديا وسياسيا وأمنيا بينما ثقافة العولمة تفعل فعلها على الصعيد الاجتماعي- الثقافي.

هذه الآلية كانت قد أعلنت عن أهدافها الوثيقة الأمريكية والورقة الألمانية- الفرنسية، باعتبارها "الفرصة التاريخية" حماية لمصالحها القومية وإنجاز تغييرات سياسية (الديموقراطية والحكم الصالح) ومعرفية (التحديث والحداثة المعرفية) واقتصادية (الخصخصة والدمج والتمويل) بغرض "الإحلال الثقافي" لمحتوى الثقافة الغربية وفي سياق التغيير الاجتماعي الدولي، للحيولة دون ما أعلنته الوثيقة من بروز "التطرف والإرهاب" المفهوم الغربي لثقافة الشرق الإسلامية.

ودائما تجد مبررات الشرق أوسطية الكبيرة أو الجديدة رافدها الثقافي في طروحات الغرب الثقافية؛ كما في طروحات هنتنغتون وفوكاياما التي لفتت صانعي القرار إلى الصراع التاريخي

وامكانية ظهور "الإحيائية الإسلامية" وحتمية "صراع الحضارات" كاستمرار طبيعي مستقبلي للماضي البعيد والقريب.

فالمدخلات Inputs هي مقدمة منطقية لمخرجات Outputs تفاعلت أكثر ما بعد ١١ أيلول، والضرورة الأمريكية اقتضت توجيه ضربات استباقية شمولية؛ اقتصادية وسياسية وأمنية. وقد توقفت هذه "الحرب الاستباقية" عند النموذجين العراقي والأفغاني، لكن تفاعلاتهما ما زلت ترشح استمرار الحالة الانقسامية التي بشرت وساعدت واشنطن في بروزها. وفي الوقت ذاته ترشح لمواجهة حضارية بين طرفين: "القوى الإسلامية" الساعية إلى العودة لـ "الحويصلة الإسلامية" دفاعاً عن مشروع ثقافي "كبير"، وبين "القوى الغربية" بضمنها الأنظمة الشرق أوسطية الحليفة ونخبها العلمانية والاقتصادية الوطنية المتماهية مع المشروع الغربي.

يبقى أن نشير إلى أن الرؤية العالمية إنما ترتبط ارتباطاً عضوياً بالظروف الموضوعية الدولية، فتغيب قوة ما عن "الأرض الكروية" وفق دورة تاريخية تمنح الفرصة لقوة أخرى صاعدة، بينما تتراجع أو تتفتت أخرى مفسحة الطريق لغيرها، وفي هذا السياق تؤكد مقولة "زبغنيو بريجنسكي" بأن "شهد العقد الأخير من القرن العشرين تحولاً بنوياً في الشؤون الدولية.. فتبرز قوة غير أوراسية بصفة المتحكم الرئيسي في علاقات القوة العالمية.. إذ شكل انهزام وانهيار الاتحاد السوفيتي الخطوة الأخيرة في الارتقاء السريع للولايات المتحدة القادمة من النصف الغربي للعالم لتصبح القوة العالمية الوحيدة والأولى^(١).

(١) بريجنسكي، زبغنيو، ١٩٩٩، رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ص ١١.

المراجع باللغة العربية

١. أبو دية، سعد، ٢٠٠٤، الشرق الأوسط الجديد: تداعيات أزمة العراق، موسوعة دهشة، العدد ٦٢، تشرين الأول ٢٠٠٤، www.dahsha.com/viewarticle.php
٢. أحمد، محمد سيد، ١٩٩٧، "الشرق أوسطية: الأبعاد السياسية والثقافية"، تحرير: نادية مصطفى، مصر ومشروعات النظام الإقليمي الجديد في المنطقة، أعمال المؤتمر السنوي العاشر للبحوث السياسية، القاهرة: ٧-٩ ديسمبر ١٩٩٦، مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة.
٣. اسكندر، كريستين عبد الله، تموز ٢٠٠٤، الشرق الأوسط وإفريقيا في قمة مجموعة الثماني، العدد ١٥٧، السنة الأربعون، مؤسسة الأهرام، القاهرة.
٤. اسماعيل، وائل محمد، ١٩٩٧، العلاقات التركية- الأمريكية في إطار مشروع الشرق أوسطي، مجلة دراسات الشرق الوسط.
٥. أمين، سمير، ١٩٩١، امبراطورية الفوضى، ترجمة سناء أبو شقرا، دار الفارابي، بيروت.
٦. بريجنسكي، زبغنيو، ١٩٩٩، رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.
٧. بيريز، شيمون، ١٩٩٢، عصر جديد لا يطبق المتخلفين ولا يغفر للجهلة، ماذا بعد عاصفة الخليج / مجموعة من المؤلفين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.
٨. بيريز، شمعون، ١٩٩٤، الشرق الأوسط الجديد، دار الجليل، عمان.
٩. ثابت، أحمد، ٢٠٠٤ / ٣ / ٤، الشرق الأوسط الكبير، <http://www.islamonline.net/arabic/mafahem/2004/03/article01.shtml>
١٠. حداد، معين، ١٩٩٤، مفهوم الشرق أوسطية بين الجغرافيا والجيولوجيا ولتوكيا، شؤون الأوسط، العدد ٣٣، أيلول بيروت.
١١. حنفي، عبد العظيم محمود، ٢٠٠٤، اتجاهات جديدة في السياسة الخارجية التركية، مجلة السياسة الدولية، السنة الأربعون، العدد ١٥٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة.
١٢. الجبر، محمد، ٢٠٠٦، البعد التاريخي للشرق الأوسط الكبير، المناضل: المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، العدد ٣٤٠، http://www.baath-party.org/monadel/no-340/almonadil340_9.htm
١٤. الدجاني، أحمد صدقي، ١٩٩٨، الجنور التاريخية للشرق أوسطية، ندوة "مخططات التعاون بين إسرائيل والدول العربية: من التطبيع إلى الهيمنة، رؤية عربية" من ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٦، الشرق أوسطية: مخطط أمريكي صهيوني: دراسات حول مخاطر التطبيع والعمل العربي في المواجهة، مكتبة مدبولي.
١٥. رياض، مجدي، ٢٠٠٧، تطور مفهوم الشرق الأوسط: من الاستعمار التقليدي إلى التعريف الأمريكي الجديد، الخميس ١٧ أيار ٢٠٠٧، موقع الوحدوي <http://www.alwahdawi.net/nprint.php?lng=arabic&sid=2730>

١٦. الرمضاني، مازن اسماعيل، ١٩٩٤، النظام الشرق أوسطي: الرؤى الإسرائيلية والأمريكية، مجلة آفاق عربية، العدد ١، بغداد.
١٧. الزبيدي، حسن لطيف كاظم، ٢٦ آذار ٢٠٠٥، الشرق الأوسط الكبير ودوره في صياغة قرار الحرب الأمريكية على العراق: اختبار الفرضيات، ندوة الحرب الأمريكية على العراق: الأهداف والنتائج، مركز العراق للأبحاث، بغداد.
١٨. شكارا، أحمد عبد الرزاق، ١٩٩٩، الفكر الاستراتيجي الأمريكي والشرق الأوسط في النظام الدولي الجديد، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٦) - العرب وتحديات النظام العالمي، تشرين الأول ١٩٩٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
١٩. غالي، ابراهيم، ٢٠٠٤، الاتحاد الأوروبي: استراتيجية للدفاع المشترك، مجلة السياسة الدولية، السنة الأربعون، العدد ١٥٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة.
٢٠. علي، محمد جواد، ٢٠٠٤، ندوة الشرق الأوسط الكبير، شؤون الشرق الأوسط، العدد ١١٤، ربيع ٢٠٠٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت.
٢١. العناني، خليل، ٢٠٠٤، الشرق الأوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٦، نيسان.
٢٢. الفهداوي، فهمي، ٣٠ / ١٠ / ٢٠٠٧، مفهوم الشرق الأوسط الجديد والعمل على موت الدول، <http://www.arabrenewal.org/articles/.html>
٢٣. كيالي، ماجد، ١٩٩٨، المشروع الشرق أوسطي: أبعاده - مرتكزاته - تناقضاته، دراسات استراتيجية، العدد ١٣، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
٢٤. كوثراني، وجيه، ١٩٩٥، "الشرق أوسطية والتطبيع الثقافي مع إسرائيل: البعد التاريخي وإشكالات راهنة"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٢٣، صيف ١٩٩٥.
٢٥. مطر، جميل وعلي الدين هلال، ١٩٨٣، النظام الاقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٢٦. مسلم، طلعت أحمد، ١٩٩٨، البعد الاستراتيجي للمشروع الشرق أوسطي، ندوة "مخططات التعاون بين اسرائيل والدول العربية: من التطبيع إلى الهيمنة، رؤية عربية" من ٢٢ - ٢٣ تشرين أول ١٩٩٦، الشرق أوسطية: مخطط أمريكي صهيوني: دراسات حول مخاطر التطبيع والعمل العربي في المواجهة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٢٧. المصطفى، خلدون خالد كريم، ٢٠٠١، الآفاق المستقبلية للتنافس الأمريكي الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية، عمان.
٢٨. معروف، هدى شاكرا، ١٩٩٩، اتجاهات السياسة الخارجية الإسرائيلية: دراسة مستقبلية، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمه إلى كلية العلوم السياسية، جامعة صدام.
٢٩. مكّي، يوسف، ١٣ / ٨ / ٢٠٠٦، النظام الاقليمي العربي والشرق الأوسط الجديد، <http://www.arabrenewal.org/articles/.html>

٣٠. نور الدين، محمد، ٢٠٠٤، تركيا والشرق الأوسط الكبير، مجلة شؤون الأوسط، العدد ١١٤، ربيع ٢٠٠٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت.
٣١. نوري، قيس محمد، ١٩٩٩، المشروع الأمني الأمريكي - الصهيوني للشرق العربي: الأبعاد الأمنية للشرق أوسطية، سلسلة المائدة الحرة ٤١، حزيران، بيت الحكمة، بغداد.
٣٢. الهباس، خالد نايف، ١٠ / ٨ / ٢٠٠٦، مفهوم الشرق الأوسط الجديد، صحيفة عكاظ، العدد ١٨٨٠، الخميس.
٣٣. هنتغتون، صموئيل، ١٩٩٩، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك عبدة أبو شهيو ومحمد محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته - ليبيا.

الصحف والمجلات العربية

١. جريدة الحياة اللندنية، نص مشروع الشرق الأوسط الكبير، ١٣ / ٢ / ٢٠٠٤.
٢. صحيفة الأهرام القاهرية، ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٤.
٣. مجلة شؤون الأوسط، ربيع ٢٠٠٤، وثيقة المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الكبير، العدد ١١٤، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت.
٤. مجلة السياسة الدولية، نيسان ٢٠٠٤، نص مشروع الشرق الأوسط الجديد المقدم من واشنطن في قمة الدول الثماني، العدد ١٥٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة.

المراجع باللغة الأجنبية

1. Albright, Madeleine, 2003, Bridges, Bombs or Bluster, Foreign Affairs, vol. 82, No. 5, September/October.
2. Binder, Leonar, 1964, The Ideological Revolution in Middle East, New York.
3. Brown, Leon Carl, 1984, The International Politics and the Middle East: old Rules, Dangerous Game, Princeton University Press, Princeton.
4. Djerejian, Edward P., 1993, War and Peace: The Problems and Prospects of American Diplomacy in the Middle East, U.S Department of State Dispath, Vol. 4, No. 51, 20 December.
5. Esposito, John, 1992, The Islamic Threat, Myth or Reality, Oxford University Press.
6. Gaisford, John, 1978, Atlas of Man, Marshal Cavendish Edition, London.
7. Harkavy, Robert, 1979, Strategic Accesses: Bases and Arms Transfer in Middle East, Pergamon Press, New York, Pargamon Press.
8. Kaiser, Karl, 1980, Political Economic Report, The Atlantic Community, Vol. 17, No. 4.
9. Kegley, Charles and Eugene R. Wittkopf, eds, 1992, The Future of American Foreign Policy, New York, St. Martin Press.
10. Krauthammer, Charles, 1991 The Unipolar Moment, Foreign Affairs (America and the World 1990/91), Vol 70, No 1.

11. Koechler,Hans,1997,U.S European Relations after the end of the East-West Conflict;Implications for Eoro-Mediterranean Cooperation,Paper Presented at the North-South Mediterranean Symposion:Parthership of Dissociation,Baghdad
12. Lenzowiki,George,1979,The Middle East in World Affairs,Cornell Univ. Press.London.
13. Naduskav,Tomas,1986,The Middle East Bronxville,Cambridge Book Co..
14. Naseef A.O.1988,Today,s Prblems,Tomorrow,s Solutions: the Future Structure of Muslim Societies,Mansell,London.
15. Nye,Joseph,S.,1992,What New World Order,Foreign Affairs,Vol.71,No. 2,Spring 1992.
16. Nye,Joseph S.,2003,US Power and Strategy after Iraq,Foreign Affairs,vol.82,No.4,July/August.
17. Paton,John,1981,Knowledge Encyclopedia,Grisewood and Dempsey Ltd, Leicester.
18. Payne,Richard J.,1995,The Clash with Distant Culture,Values Interests and Force in American Foreign Policy,New York Press.
19. Regan,Ronald,1990,An American Life,The Autobiography,New York Pocket Book.
20. Slade,Shelley,1981,The Image of the Arab in America,The Middle East Journal,Vol.35,No2.
21. Thrne,T.C.,1965,Chamber,s World Gazetteer and Geographical Dictionary,London.
22. <http://ar.wikipedia.org/wiki>